العِزُّ بنُ عَبْد السَّلام
ابن دمشق البار
سلطان العلماء وبائع الملوك

أنجبت دمشق الفيحاء خلال تاريخها الطويل عامة ، وعصرها الإسلامي خاصة ، نخبة من العلماء الأعلام ، وكوكبة من الدعاة المخلصين ، والقادة الأبطال ، والمصلحين العاملين ، والأدباء والشعراء ، والأطباء والمفكرين ، وبرز فيها لمعة من الفقهاء والمجتهدين ، والأولياء الصالحين .

كما احتضنت دمشق بين جنباتها كثيراً من أبناء الأمة العربية العريقة ، وشعوب البلاد الإسلامية الماجدة ، منهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم طوال عهدها الزاهر ، فاستهوت أفئدتهم ، وجذبت قلوبهم ، فأقاموا فيها ، وسكنوا في غوطتها ، وتفيؤوا ظلالها ، فمنحتهم خيراتها ، وبادلوها عطاء بعطاء ، وحباً بحب ، وخيراً بخير .

وكان الفريقان السابقان أمثولة للعالم أجمع ، وتجاوزت شهرتهم دمشق وحدود بلاد الشام ، وبلغت الخافقين ، وانتشرت في العالم العربي والإسلامي ، وسجل التاريخ لهم صفحات من نور ، وجهاداً في سبيل الله ، وخلفوا للأمة والإنسانية تراثاً مثيراً ، وكتباً خالدة ، وكان كل منهم مضرب المثل في علمه وعمله وسلوكه ، وفي اختصاصه ومجال نشاطه .

ونأخذ مثالاً عنهم العز بن عبد السلام ، الإمام العالم العامل ، العلامة

المشهور ، ابن دمشق البار ، والقاضي العادل ، والمفتي الأمين ، والباحث المجتهد ، إلى غير ذلك مما يكثر الحديث عنه ، ويتكرر ذكره في مجالس العلم ومختلف المناسبات ، ويرد السؤال عن حياته وشخصيته ، لذلك أردنا أن نلقي الأضواء على حياته الشخصية ، وسيرته الذاتية ، بإيجاز واختصار ، لنذكر الأجيال الحاضرة والمستقبلة بالأجداد العظماء ، والتاريخ التليد ، ليقتفي الخلف سيرة ذلك السلف المجاهد الصالح.

اسم العز ونسبه:

هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مُهَذَّب ، وذلك باتفاق العلماء ، وإجماع المصادر المعتمدة.

أما نسبه فهو السُّلمي نسبة إلى بني سُليم إحدى القبائل المشهورة من قبائل مضر؛ وهو المغربي الأصل ، ولعل أحد أجداده جاء من المغرب وسكن الشام ، وهو الدمشقي نسبة إلى دمشق التي ولد بها ، وترعرع في ربوعها ، وطلب العلم فيها ، وتولى المناصب والأعمال المختلفة بها ، وقضى فيها معظم حياته ، وهو المصري ، نسبه إلى مصر التي انتقل إليها بعد الستين من عمره ، واستقر بها إلى أن مات فيها ودفن ، وهو الشافعي نسبة إلى مذهب الإمام الشافعي الذي تفقه العز على فروعه وأصوله ، ودرَّس فقهه ، وأفتى به ، وتولى القضاء للحكم بموجبه ، وصنف الكتب الفقهية على طريقته ومنهجه ، حتى بلغ رتبة الاجتهاد في المذهب ، وكان له بعض الآراء الخاصة ، وصنف كتابين مشهورين ، وهما «قواعد الحكام» و«الإمام في بيان أدلة الأحكام» يشهدان بإمامته واجتهاده.

كنية العز ولقبه:

كنيته أبو محمد ، لأنه تزوج وأنجب عدة أولاد ، وكان أشهرهم في العلم والفقه ولده عبد اللطيف ، ثم ولده إبراهيم.

أما لقبه فهو عز الدين جرياً على عادة العصر الذي انتشرت فيه الألقاب للحكام والعلماء ، ويختصر لقبه بالعز ، وهي التسمية الشائعة في الاستعمال عند الناس ، وفي كتب التاريخ والتراجم والفقه ، كما اشتهر بلقبه الثاني «سلطان العلماء» واللقب الثالث «بائع الملوك» لمواقفه المشهودة والمشهورة والخالدة في التاريخ ، ويعرف أيضا بابن عبد السلام إشارة إليه في بعض الأحيان ، لكن يشاركه في هذه التسمية الأخيرة غيره من المالكية خاصة ، ومن الشافعية والحنابلة وغيرهم عامة .

ولقب العز أيضاً بالقاضي ، لتوليه منصب القضاء في دمشق والقاهرة، كما لقب بقاضي القضاة، لتعيينه مسؤولاً عن القضاة والقضاء في الفسطاط والوجه القبلي من مصر .

ولادة العز :

ولد العز بن عبد السلام بدمشق باتفاق المصادر والمراجع ، ولكن حصل اختلاف في تاريخ ولادته ، فذهب كثيرون إلى تحديده بسنة سبع وسبعين وخمسمئة لِلهجرة ، وقال آخرون: إنها سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، وتشكك فريق ثالث بين السنتين ، والراجح هو القول الأول ، وأنه ولد سنة ٥٧٧ هـ الموافق ١١٨١م ، لوجود القول المعتمد عند أكثر المؤلفين والمؤرخين والباحثين ، أنه توفي سنة ٦٦٠ هـ ، وأن عمره في الراجح ثلاث وثمانون سنة ، مع الاعتماد على حكاية نقلها العلامة المؤرخ ، والفقيه الشافعي ، ابن السبكي ، وهو أقرب المؤرخين لحياة العز وسيرته .

نشأة العز وتعلمه :

نشأ العز بدمشق التي كانت حاضرة العلم والعلماء منذ العصر الأموي ، وكان يقطنها العلماء من كافة الفنون ، ويجتمع فيها أئمة الدين البارعين ، ويقصدها الطلبة من كافة الأصقاع ، ويلتقي فيها المتخصصون

من الشرق والغرب ، وكان المسجد الأموي يشع بالنور والعلم ليلاً ونهاراً ، وكان موئل العبادة والعباد ، والعلماء والصالحين .

وعاش العز في أسرة فقيرة مغمورة ، ولكنها كانت تربة صالحة للنبوغ والتفوق ، وجمع العز في مقتبل عمره بين العلم والسعي للرزق ، وبين سماع الدروس الدينية ، وحضور مجالس العلماء والمشايخ ، إلى أن حصلت معه قصة أثناء مبيته في الكلاَّسة ، وهي الزاوية الشمالية للجامع الأموي ، فأغمي عليه ، وسمع من يناديه : يابن عبد السلام ، أتريد العلمَ ، أم العمل؟ فقال الشيخ عز الدين : العلم ، لأنه يهدي إلى العمل ، فأصبح ، وأخذ كتاب «التنبيه» للشيرازي ، وهو مختصر في الفقه الشافعي ، فحفظه في مدة يسيرة ، وأقبل على العلم ، حتى أصبح ، كما يقول ابن السبكي : «أعلم أهل زمانه ، ومن أعبد خلق الله تعالى» .

وهذا يدل على أن العز كان في أول أمره فقيراً جداً ، ولم يشتغل في العلم إلا على كبر السن ، وأنه نشأ في بيئة دينية ، ومجتمع إسلامي ، ومحيط ديني ، يقدر العلم ، ويجل شأنه ، ويلتزم بأحكام دين الله .

وتدل الأخبار أن العز رحمه الله تعالى نشأ في شبابه على التدين ، وكان يتحلى بالورع والتقوى ، والصرامة في أمور الدين ، وقوة الشكيمة في تنفيذ الأحكام ، والصبر على تحمل الصعاب والشدائد في سبيل الله ، وطلب مرضاته ، والتعرض للمخاطر في الحياة ، وحققت هذه الصفات الجسمية والنفسية والروحية ثمارها في مواقف العز ، وسلوكه في الحياة ، وتوليه للمناصب ، وجمعه بين العلم والعمل ، مع ما يتمتع به من حصافة الرأي ، ورجاحة العقل ، والفراسة في الأشخاص والأحوال .

وتوجه العز إلى طلب العلم بجد واجتهاد ، وفهم وهمة عالية ، يساعده في ذلك ذكاؤه الخارق ، وملكاته الفطرية ، ومواهبه الإلهية ، ليعوض ما فاته في طفولته وصباه .

وقصد العز مجالس العلماء والعلم ، وجلس في حلقاتهم ، ينهل من معينهم ، ويكب على الدراسة والحفظ ، والفهم والاستيعاب ، حتى حفظ «التنبيه» في فترة قصيرة ، واجتاز العلوم بمدة يسيرة ، وقال عن نفسه: «ما احتجت في علم من العلوم إلى أن أكمله على الشيخ الذي أقرأ عليه ، وما توسطته على شيخ من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم ، إلا وقال لي الشيخ: قد استغنيت عني ، فاشتغل مع نفسك ، ولم أقنع بذلك ، بل لا أبرحُ حتى أكمل الكتاب الذي أقرؤه في ذلك العلم» وكان يقول: «مضت لي ثلاثين سنة لا أنام حتى أُمرّ أبواب الأحكام على خاطري».

ولم يقتصر العز على تلقي العلم ، بل اختار فطاحل العلماء العاملين ، أو جهابذة العلم البارعين ، فأخذ علمهم أولاً ، وتأثر بأخلاقهم الفاضلة ، وسلوكهم الرفيع ، وتلقف توجيههم ، ورمق مواقفهم التي تركت أثرها الحميد عليه في جميع حياته ، حتى أصبح كما قال ابن السبكي عنه: «أعلم أهل زمانه ، ومن أعبد خلق الله تعالى».

وجمع العز في تحصيله بين العلوم الشرعية والعلوم العربية ، التي تعتمد في محورها ومنطلقها ومبعثها على القرآن الكريم ، هداية ولغة وتشريعاً ، فدرس علم التفسير وسائر علوم القرآن ، وأتقن الفقه وأصوله ، والحديث وعلومه ، واللغة والنحو والبلاغة ، وشارك في علم الأخلاق والزهد والسلوك والتصوف وعلم الخلاف.

ولم يكتف العز بدراسة هذه العلوم ، بل بقر كنوزها ، وغاص إلى أغوارها ، وفهم حقائقها ودقائقها ، وتفوق في معرفتها والتأليف فيها ، لذلك وصفه ابن العماد الحنبلي بقوله: «وبرع في الفقه ، والأصول ، والعربية ، وفاق الأقران والأضراب ، وجمع بين فنون العلم من التفسير

والحديث والفقه ، واختلاف أقوال الناس ومآخذهم ، وبلغ رتبة الاجتهاد.

وأدرك العز رحمه الله تعالى أهمية الرحلة في طلب العلم التي أصبحت منقبة ومفخرة ومزية لصاحبها في الحضارة الإسلامية ، وقال فيها: «الرحلة نصف العلم» ، فرحل العز عن دمشق إلى بغداد ، حاضرة الخلافة العباسية ، وسمع الحديث الشريف عن علمائها ومحدثيها ، كما رحل إلى الحجاز بقصد الحج والعمرة ، والتقى بالعلماء من سائر الأقطار الإسلامية ، فأخذ عنهم ، وأخذوا عنه ، وقصدوه بالفتوى ، ثم رحل أخيراً إلى مصر التي استقر فيها ، واستفاد من علمائها ، ونشر العلم فيها.

شيوخ العز ومعاصروه:

درس العز في البلاد الإسلامية على عدد من المشايخ والفقهاء والعلماء ، واستفاد منهم ، وتزود من علمهم ، وتأثر بسلوكهم ومواقفهم ، نذكر منهم:

١ ـ فخر الدين بن عساكر (٦٢٠ هـ) الذي كان شيخ الشافعية بالشام ، وفقيه زمانه ، وكان محدثاً ، صالحاً ، زاهداً ، كثير التهجد ، حسن الخَلْق والخُلُق ، كثير الأدب ، منقطعاً للعلم والعبادة والعمل ، وكان قوياً في الحق ، لا يهاب سطوة ظالم ، ولا يسكت على منكر أو مخالفة للشرع ، وطلب للقضاء فامتنع ، وعرضت عليه عدة مناصب دينية فأباها ، وأنكر على الملك المعظم بدمشق ما شاع في زمانه من كثرة بيع الخمور فمنعه من التدريس ، وأخذ عنه العز الفقه والحديث.

٢ ـ جمال الدين بن الحَرَستاني (٦١٤ هـ) قاضي دمشق ، وكان مُسْنِد الشام ، وشيخ الإسلام في عصره. وكان إماماً ، فقيهاً ، عارفاً بالمذهب الشافعي ، ورعاً ، صالحاً ، محمود الأحكام ، حسن

السيرة ، كبير القدر ، زاهداً على طريقة السلف ، صارماً في القضاء ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وله حكايات عظيمة مع الملك المعظم عيسى في أحكامه وقضائه ، وتتلمذ العز عليه ، وسمع منه الحديث ، وأخذ عنه الفقه ، وكان عليه ابتداء اشتغاله بالعلم ، وقال عنه: «ما رأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني ، وكان يحفظ «الوسيط» للغزالي.

٣ ـ سيف الدين الآمدي (٦٣١ هـ) الفقيه الشافعي ، الأصولي المتكلم ، وكان حسن الأخلاق ، فصيح اللسان ، بارع البيان ، وصنف الكتب المحققة المفيدة ، وأخذ عنه الأذكياء العلم: أصولاً ، وكلاماً ، وخلافاً ، وتتلمذ عليه الشيخ عبد العزيز ، واعترف بفضله ، وأثنى عليه ، وكان يعظمه ، ويقول: «ما تعلمنا قواعد البحث إلا منه» ويقول: «ما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه ، كأنه يخطب» ودرس العز عليه أصول الفقه خاصة.

٤ ـ القاسم بن عساكر الحافظ (٦٠٠ هـ) وهو ابن الحافظ أبي القاسم ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ، وتولى القاسم مشيخة دار الحديث النورية بدمشق ، ولم يتناول أجراً على ذلك ، بل يدفعه إلى الطلبة ، وكان ناصر السنة لإماتته البدعة ، شديد الورع ، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قليل الالتفات إلى الأمراء وأبناء الدنيا ، سمع العز منه الحديث ، وانتفع به في منهجه وسلوكه.

٥ ـ عمر بن طَبَرْزَد البغدادي (٦٠٧ هـ) ، وكان شيخ الحديث ببغداد ، وكان ظريفاً ، ورجل إلى الآفاق ، وقدم دمشق ، مع حنبل الرصافي (٦٠٤ هـ) ، وسمع العز منهما الحديث مع الجمع الغفير ، ثم عادا إلى بغداد.

ويمثل شيوخ العز مدرسة معنوية أثرت في العز حتى صار رمزاً لهذه

المدرسة في تاريخ الإسلام والمسلمين ، وفي كتب التراجم وسيرة العلماء ، لما اشتهر دأبه من المواقف الخالدة ، والسلوك الطيب، والرجولة الكاملة ، والزهد في الدنيا ، والورع في السلوك ، والتقوى في العبادة والأحكام ، مع مجانبة السلطان في الوقت الذي يتولون فيه المناصب الرسمية في التدريس والإفتاء والقضاء ، مع الحرص على قول الحق ، والجرأة في الأمور ، والصلابة في الدين ، والوقوف عند حدود الله ، والدفاع عن شرعه ، والجهاد باللسان ، والمشاركة في القتال ضد الأعداء عند اللزوم.

وعاصر العزَّ عدد من فطاحل العلماء ، فلم يمنعه كبر السن وعلو الدرجة العلمية ، والمكانة الأدبية ، والمنزلة الاجتماعية الرفيعة أن يجالسهم ، ويستفيد منهم ، ويستفيدوا منه ، ويناظرهم ، ويحضر دروسهم ، ويحضرون دروسه ، فيأخذ ويعطي ، ويستفيد ويفيد ، مما أدى إلى علو مكانة العز العلمية ، والإقرار له بالعلم والفضل ، والثناء عليه ، لأنه لا يعرف الفضل إلا ذووه ، منهم:

١ ـ ابن الحاجب ، الفقيه المالكي ، الأصولي ، النحوي ، الأديب ، الشاعر (٦٤٦ هـ) وهو مصري المولد ، كردي الأصل ، انتقل إلى دمشق واستوطنها ، ودرس بزاوية المالكية بالجامع الأموي ، وذاع صيته ، وأكب الناس على الاشتغال به ، وكان ركناً من أركان الدين في العمل والعلم ، ثقة ، حجة ، متواضعاً ، عفيفاً ، محباً للعلم ، صبوراً على البلوى ، محتملاً للأذى ، وكان ابن الحاجب محباً للعز ، ومقدراً لفضل العز وعلمه ، وقال فيه: «ابن عبد السلام أفقه من الغزالي» ، ووقف ابن الحاجب بجانب العز في أوقات الشدة والمحن ، وعاضد العز في وجه الانحراف والزيغ والظلم ، وأنكر على الملك الأشرف نيله من العز ، وحمل العلماء على كتابة فتوى بصحة كلام العز في العقيدة ، وأخذ خطوطهم بموافقته ، ورفعها للملك الأشرف ، ولما حبس الملك الصالح

إسماعيل العز ، لأنه أنكر عليه تحالفه مع الفرنج ، دخل ابن الحاجب السجن معه ، ليؤنسه ، ولما خرج العز من الشام إلى بيت المقدس ، وهاجر إلى مصر ، صاحبه ابن الحاجب وارتحل معه .

٢ ـ المنذري ، زكي الدين ، الفقيه الشافعي ، من حفاظ الحديث ، العالم بالعربية(٦٥٦ هـ) ، أصله من الشام ، لكنه ولد ومات بمصر ، وبرع في الحديث ، وفي معرفة أحكامه ومعانيه ، وكان زاهداً ، شديد الورع ، مفرط الذكاء ، أحفظ أهل زمانه ، وكانت صلته قوية بالعز ، مع صداقة حميمة ، واحترام متبادل ، واعترف كل منهما بفضل صاحبه ، وتفوقه في اختصاصه ، فامتنع العز عن التحديث بمصر احتراماً وإجلالاً للحافظ المنذري ، وتوقف المنذري عن الفتوى عند قدوم العز إلى مصر ، وقال: «كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعيّن فيه» .

٣ ـ ومن معاصري العز الشيخ جمال الدين الحصيري الذي انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره بدمشق ، وكان من العلماء العاملين ، كثير الصدقة ، غزير الدمعة ، عفيفاً ، ديناً وقوراً (٦٣٧ هـ) وكان يعرف مكانة العز ، وانتصر له في فتنة الحشوية عند الملك الأشرف ، ودافع عنه ، وأيده في آرائه ، وأنه «يُفتخر به على سائر الملوك» ، ومنهم أبو الحسن الشاذلي (٦٥٦ هـ) ، وأبو العباس المرسي (٦٨٦ هـ) ، والشيخ ابن الصلاح ، الفقيه الشافعي ، والمحدث ، الأصولي اللغوي ، وغير هؤلاء ممن عاصر العز ، وشاركه في العلم ، وتبادلوا المعرفة ، مما كان له الأثر المحمود عليهم وعلى الأمة والعلم .

تلاميذ العز وكتبه :

مارس العز المناصب الرسمية والتدريس العام ، وشغل نفسه في العلم والإفادة ، وقام بالتصنيف والتأليف ، واستفاد من مناصبه وتدريسه

وتصنيفه تلاميذه وطلابه الذين يعتبرون الأثر المباشر له ، والامتداد لشخصيته ، والعنوان الدائم لمدرسته ومنهجه ، وقد اجتمع في حلقاته ودروسه الجموع الغفيرة من أهالي دمشق والقاهرة ، حتى ذاع صيته ، وقصده الطلبة من أصقاع العالم الإسلامي ، قال المؤرخ الحافظ ابن كثير عن العز: «وأفاد الطلبة ، ودرّس بعدة مدارس. . . وانتهت إليه رئاسة الشافعية ، وقصد بالفتاوى من الآفاق» وقال ابن العماد الحنبلي: «وبلغ رتبة الاجتهاد ، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد ، وقال الكتبي: «ودرس ، وصنف ، وأفتى ، وبرع في المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصده الطلبة من البلاد ، وتخرّج به أئمة».

واستفاد من دروس الشيخ وعلمه عامة الشعب ، وسواء الناس ، وانتفع به عدد كبير من التلاميذ والطلاب ، وتخرج على يديه المتفوقون الذي نبغوا في العلم ، وصاروا أئمة ، ووصلوا إلى درجة الشهرة ، وفيهم الحكام والأمراء والقضاة ، وكان أثر الشيخ في هذه النخبة واضحاً وجلياً ، علمياً وسلوكياً وعملياً ، نذكر طرفاً منهم ، وأولهم ولده إبراهيم (٦١١ هـ) وابنه عبد اللطيف الذي تميز بالفقه والأصول ، وصار فقيهاً ، ويعرف تصانيف العز معرفة حسنة ، ويدرس كتبه.

ومن تلاميذ العز العلامة تقي الدين ابن دقيق العيد ، القاضي ، الفقيه ، الأصولي ، الأديب ، الشاعر ، الذي أتقن علم أصول الدين ، وأصول الفقه ، والنحو واللغة ، وبرع في الحديث واشتهر بالتقوى حتى لقب بتقي الدين ، وكان متأثراً بالعز ، لا يُحابي أحداً ، ولا يُداري حاكماً ، ويزيل الظلم ، ويرد الأوقاف ممن استغلها أو اختلسها من أصحاب النفوذ ، ويحارب البدع ، ويكتب إلى نوابه في القضاء يذكرهم بالواجب ، ويحذرهم من الظلم والجور ، وكان جواداً ينفق أمواله في شراء الكتب ، حتى توفي سنة (٧٠٢ هـ) ، وهو الذي أطلق على العز: سلطان العلماء.

ومنهم تاج الدين بن بنت الأعز (٦٨٠ هـ) قاضي القضاة ، الشافعي المصري ، ويقال له: آخر قضاة العدل ، تولي قضاء القضاة في الديار المصرية ، وتأسىٰ بالعز في نصرة الحق ، والصلابة في الدين ، واتفق الناس على عدله وخيره ، والتثبت في الأحكام ، وتولية الأكفاء ، وله مواقف مشهورة في القضاء مع الملك الظاهر بيبرس ، وكان الشيخ العز يحبه ويقدره ، وينيبه في القضاء والتدريس ، وأسند إليه قضاء القضاة إثر عزله نفسه ، وكان أديباً ، ديناً ، أصولياً ، وجمع بين القضاء والوزارة وخطابة الجامع الأزهر ، وتدريس الشافعية والمشهد الحسيني بالقاهرة.

ومنهم أبو شامة ، شهاب الدين المقدسي الدمشقي (٦٦٥ هـ) المؤرخ ، المحدث ، القارىء ، الفقيه الشافعي ، النحوي ، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية ، ومشيخة الإقراء بدمشق ، أخذ عن العز ، وتأثر به ، وكان متواضعاً ، تاركاً للتكلف ، وصنف في عدة علوم.

ومنهم الفِرْكاح الفزاري ، تاج الدين ، الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، الأصولي ، الأديب ، الشاعر ، المؤرخ ، المفسر ، المحدث ، فقيه أهل الشام ، وتفقه على العز بن عبد السلام.

ومنهم القرافي المالكي ، شهاب الدين ، المصري ، الفقيه ، الأصولي ، المفسر ، المحدث ، المتكلم ، النحوي ، انتهت إليه رياسة المالكية بمصر في عصره ، وجمع بين العلوم النقلية والعقلية ، وصنف الكتب المفيدة ، ولازم الشيخ عز الدين بن عبد السلام زمناً طويلاً ، وأخذ عنه أكثر فنونه وخاصة في التدريس والتأليف في القواعد.

أما كتب العز فكثيرة ، لأنه نبغ في علوم عديدة ، وخاصة علوم الشريعة والعربية ، وملك ناصية البيان ، والملكة اللغوية ، والأدب الرفيع ، والقدرة الفكرية النيرة ، والمواهب الفطرية ، فجاءت مصنفاته في غاية الكمال والنفع ، نعدد أهمها:

١ ـ تفسير القرآن العظيم.

٢ ـ مختصر تفسير الماوردي.

٣ ـ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز.

٤ ـ الفوائد في مشكل القرآن.

٥ ـ مختصر صحيح مسلم.

٦ ـ ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام.

٧ ـ الملحة في الاعتقاد.

٨ ـ أحوال الناس يوم القيامة.

٩ ـ الغاية في اختصار النهاية لإمام الحرمين الجويني.

١٠ ـ مقاصد الصلاة والصوم والحج.

١١ ـ الفتاوى.

١٢ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام.

١٣ ـ الإمام في بيان أدلة الأحكام.

١٤ ـ شجرة المعارف.

١٥ ـ مختصر رعاية المحاسبي ، وغيرها.

مناصب العز وأعماله:

تعددت أعمال العز التي قام بها ، والخدمات التي أداها ، فكان بعضها اختباراً وطوعياً وخاصاً ، وبعضها مناصب رسمية ، ووظائف في الدولة الأيوبية بدمشق ، والأيوبية والمملوكية في القاهرة ، والمهم أن العز مارس هذه المناصب والأعمال ، وهو يملك زمامها ، ويسخرها لمصلحة الدين والأمة ، والشرع والشعب ، واتخذ فيها المواقف الحاسمة ، وترك فيها بصماته المشهودة ، والمسجلة في التاريخ وكان فيها مضرب المثل في النزاهة والعدل ، والتجرد والإخلاص ، والصدق

والأمانة ، وعزة النفس ، وإباء الضيم ، والسعي إلى مرضاة الله تعالى ، ولو سخط الناس ، ولو لقي في سبيل ذلك السجن والعزل ، والنيل من مكانته ، والمضايقة التي اضطرته إلى الهجرة من دمشق الحبيبة له ، إلى القاهرة ومصر.

ومن أعماله التي نعددها فقط ، ويحتاج كل منها إلىٰ بحث مستقل ، للإفاضة فيه ، وبيان أثر العرفية ، فمنها:

١ ـ الإفتاء.

٢ ـ التدريس.

٣ ـ الخطابة.

٤ ـ السفارة.

٥ ـ القضاء وكل ذلك في الشام ومصر ، ثم انفرد بمصر بعمل قاضي القضاة.

صفات العز:

امتاز العز بمجموعة من الصفات الحميدة والكريمة التي أضفت على شخصيته هالة من الاحترام والتقدير ، والتعظيم والمحبة ، حتى صار مضرب الأمثال على لسان الناس في عصره ، وحتى اليوم ، فمن صفاته الخلقية: الورع والزهد ، والحب للتصدق ، والتواضع ، وعدم التكلف ، والهيبة ، والجرأة في قول الحق ، دون أن يخشى في الله لومة لائم ، وإزالة البدع ، والنصح لله ، والأمانة على دين الله وشرعه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لجميع الناس ، حكاماً ومحكومين ، والجهاد بلسانه وعلمه وماله ، ثم بالمشاركة في القتال ضد الصليبيين وقد بلغ من الكبر عتياً ، والمنزلة الاجتماعية الرفيعة ، والحظوة عند الخاصة والعامة ، واللطف والأدب ، وكمال الأخلاق والصفات ، وثبتت له كرامات ، وكان محباً لدمشق وبلاد الشام ، وباراً لها ، وصنف كتابه

«ترغيب أهل الإسلام بسكنى بلاد الشام» وبين فضائلها ، وخصائصها ومزاياها ، وبادلته دمشق حباً بحب ، وبراً ببر ، وتقديراً له ووفاء في حياته وبعد وفاته.

وفـــاة الـعـز:

رزق العز بن عبد السلام طول العمر ، وحسن العمل ، وعُمّر حتى بلغ ثلاثاً وثمانين سنة ، وتوفي في العاشر من جمادى الأولى سنة ستين وستمئة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وحضر جنازته الملك الظاهر بيبرس ، وصلى عليه ، وشيعه الأمراء والجنود وعامة الشعب ، ونقل الخبر إلى دمشق فصلي عليه بجامع العقيبة كما صلي عليه في جميع ديار مصر والبلاد الشامية إلى الفرات ، وفي مكة والمدينة واليمن ، رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعنا الله بعلمه ، ورزقنا التأسي بمواقفه ، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊